14

الكشف للعيان والشعور بالمهانة

بحلول منتصف سنة 2004، كان باتريك فيتزجيرالد المدعي الخاص يعمل جاهداً كي يضع اللمسات الأخيرة على التحقيق بشأن عملية التسريب. حامت التوقعات حول إمكان أن يقوم فيتزجيرالد بتوجيه اتهام أو اثنين، أو أن يضع اللمسات الأخيرة على تحقيق معقد ومحاط بالفوضى. لكنه كان بحاجة إلى اثنين من الصحفيين لإكمال تحقيقه، لذلك فقد سعى إلى الاستماع إلى شهادتيهما أمام هيئة المحلفين الكبرى منذ نحو السنة.

أحد هذين الصحفيين كان ماثيو كوبر، وهو مراسل مجلة تايم في البيت الأبيض، ويمتاز بسرعة البديهة، ولطف التعبير. أما الأخرى فكانت جوديث ميللر الصحفية التي تعمل في واشنطن لصالح صحيفة نيويورك تايمز، والتي كتبت بشكل مستفيض حول أسلحة الدمار الشامل التي يملكها صدام حسين، والتي اعتمدت فيها على تقارير استخباراتية مسربة من حكومة الولايات المتحدة، وحكومات أجنبية أخرى، في المرحلة التي سبقت عملية الغزو.

رفض كل من كوبر وميللر إطلاع فيتزجيرالد على ما يعرفانه حول قضية التسريب. كانا مصممين على الالتزام بالعقد الصحفي القاضي بعدم إفشاء المصادر السرية، أو الإفصاح عن هوية تلك المصادر لأي شخص، وخصوصاً بطريقة يمكن أن تفضي إلى إفشاء سرية مصادرهما أمام الرأي العام. كان ذلك يشكل بالنسبة إلى كل من كوبر وميللر واحدة من الحريات الأساسية لمبدأ الصحافة. فغالباً ما يعتمد الصحفيون على مصادر ترفض الإفصاح عن هويتها للحصول على معلومات تساعد في وضع المسؤولين الحكوميين أمام مسؤولياتهم. وإذا كان سيتم التلويح باستخدام تهمة إهانة المحكمة لإرغام الصحفيين على إفشاء مثل هذه المصادر، فإن ذلك سوف ينفر الناس من التحدث

إلى الصحفيين بالمطلق، وهو ما سيجعل من الصحافة المختصة بمجال التحقيقات مجالاً أكثر صعوبة في المستقبل.

كانت هناك بطبيعة الحال انعطافة غريبة نتجت عن دفاع كل من كوبر وميللر عن موقفيهما في هذه القضية؛ ذلك أن رفضهما إفشاء أسماء مصادرهما في قضية التسريب، لم يكن يعني أن الصحفيَّين كانا يقومان بحماية أولئك الشجعان الذين دقوا ناقوس الخطر لافتين إلى الأخطاء التي ارتكبتها الحكومة بحق الصالح العام، بل كانا يحميان المسؤولين الحكوميين الذين يعتقد منتقدو الحكومة أنهم استخدموا هذه التسريبات كسلاح في الحرب الحزبية التي يخوضونها. كان من الصعب على بعضهم في أوساط الشعب، خصوصاً منتقدي الإدارة، أن يروا في ما قام به كل من كوبر وميللر موقفاً مهنياً يوحي بالشجاعة الصحفية. في أيام فضيحة ووترغيت، تم نقل الحملة التي شنها آنذاك مراسلو الصحف الذين حاربوا من أجل الحقيقة إلى شاشات السينما بواسطة ممثلين كروبرت ريدفورد وداستين هوفمان. أما هذه الحكاية، فقد أكدت على ما يبدو، لبعض نقاد الإدارة على الأقل، أن الصحفيين لم يعودوا تلك الشخصيات البطولية، بل انخرطوا الآن في الحرب الحزبية نفسها التي يقومون بتغطيتها.

أما فيتزجيرالد الذي أصدر مذكرتيْ استدعاء بحق الصحفيَّين فقد رفض الدفاع الذي قدماه حول حرية الصحافة، وأصر على أن شهادتيهما حاسمة كي يكون باستطاعته وضع اللمسات الأخيرة على التحقيق الذي يجريه، ولكي يتخذ قراره فيما إذا كان سيعتبر ما حدث يشكل جريمة أم لا. فقد حصل على أوراق تنازل موقعة من مسؤولين في الإدارة يعفي الصحفيَّين من أي اتفاق سابق معهما حول سرية المعلومات، كما استصدر أمراً قضائياً يلزمهما بضرورة الإدلاء بالشهادة. إذا رفض كوبر وميللر، فسوف توجه إليهما تهمة إهانة المحكمة، ويُلقى بهما في السجن إلى أن يوافقا على الكلام.

لم يغير التنازل الموقع من المسؤولين الذي يعفيهما من أي مسؤولية، شيئاً بالنسبة لهما، نظراً لاحتمال أن تكون مصادرهما قد تعرضت للإكراه كي توقع على مثل هذا التنازل أمام تحقيق جنائي بهذا الحجم. لم يكن هذا يشكل في رأيَيْهما ضمانة اختيارية غير إجبارية. أما فيتزجيرالد، فكان يرى أنها مسألة تتعلق بكشف الحقيقة

حول احتمال ارتكاب جريمة جنائية، وما يمكن لمحكمة الاستئناف أن تدعم هذا الطلب باعتباره «حاجة ملحة» للحكومة لشهادتيهما.

أثارت هذه القضية اهتماماً شديداً في الدوائر الإعلامية في الوقت الذي أصر كوبر وميللر على موقفيهما. وكان ما يشبه الحمى المجنونة يسري خارج مبنى المحكمة الفيدرالية كلما أطل هذان الصحفيان.

في شهر آب، أغسطس، سنة 2004، أصدر القاضي توماس هوغان في محكمة المنطقة التابعة لمقاطعة كولومبيا حكماً قضائياً اعتبر فيه كلاً من كوبر ومجلة تايم مذنبين بجريمة تحقير المحكمة. أما ميللر فقد تلقت ضربة مشابهة في شهر تشرين الأول، أكتوبر، من السنة نفسها. تم فرض غرامة على الاثنين، وحكم عليهما بالسجن. وقد أبقى القاضي بموافقة فيتزجيرالد، على الأمرين القضائيين حتى انقضاء مدة استئنافهما.

حكم في نهاية المطاف على ميللر بالسجن بتهمة إهانة المحكمة. وكان عليها بدءاً من السادس من شهر تموز، يوليو، 2005، قضاء مدة خمسة وثمانين يوماً من أصل أربعة أشهر في السجن قبل حصولها أخيراً على ضمان شخصي بالتنازل من المصدر الذي كانت تحميه. وكان ذلك الشخص هو سكوتر ليبي الذي أبلغها استناداً إلى شهادة ميللر التي أدلت بها فيما بعد، أن زوجة ويلسون هي عميلة لوكالة المخابرات المركزية بالرغم من أنها لم تنقل هذه المعلومة أبداً. أما سكوتر ليبي فقد أفلت من عقوبة السجن بعد أن أعفاه مصدره – كارل روف – بشكل اختياري في اللحظة الأخيرة من عبء سرية المعلومات.

بحلول شهر تموز، يوليو، سنة 2005، بدأت التقارير تتوالى أن روف تحدث إلى مات كوبر حول القصة التي كتبها هذا الأخير عن مهمة جو ويلسون إلى النيجر. في الرابع من شهر تموز، يوليو، كتب أحد الصحفيين العاملين في مجلة نيوزويك، والذين يتمتعون بقدر وافر من الاحترام، أن كارل هو أحد مصادر كوبر. تلقى تأكيداً من محامي كارل الشخصي وهو روبرت لاسكين. إلا أن لاسكين أبلغ إيسيكوف أن كارل «لم يقم بإفشاء أي معلومات سرية»، كما أنه «لم يخبر أي صحفي أن فاليري بليم

تعمـل لصالح وكالة المخابـرات المركزية». لاحظ إيسيكـوف أن ما جرى بالضبط بين كوبر وكارل كان «غير واضح».

وفي يـوم الأحد الواقـع في العاشر من شهر تموز، يوليو، سنـة 2005، أي بعد انقضاء ستـة أشهر مـن سنة بوش الأولى في ولايته الثانية، وبعد انقضـاء سنتين تقريباً على نشر عمـود نوفاك الصحفـي الذي كشف فيه عن هوية فاليري بليـم - وهي جزئية معلوماتية مهمة رفض كوبر سابقاً الاعتراف بإفشائها، أضحت علنية للمرة الأولى.

علمت عبر إشاعات سرت هنا وهناك أن إيسيكوف كان لديه مصدراً آخر يغرف منه معلومات لصالح مجلة نيوزويك تتضمن تفاصيل محددة عما قاله كارل لكوبر. أذكر أنني كنت أتأمل في احتمال أن يكون كوبر قد سأله عن زوجة ويلسون، ولكن، وكما أوضح كارل لكلير ولي، بشأن اتصاله مع نوفاك فإنه لم يكن باستطاعته التأكيد على أي شيء لأنه لم يكن يعلم أي شيء عن الموضوع. كما أن الرئيس أبلغني بنفسه أنه تلقى تأكيدات بأن كارل لم يقم بإفشاء أي معلومات. ربما لم أشأ التصديق أن كارل كان صريحاً بما يكفي، أو أن ما قاله لي - وللرئيس - لم يكن صحيحاً.

في وقـت لاحـق مـن صباح ذلك اليـوم، اتصلت بـي هارييت ميرز، وهي مـن الموالين القدامى لبوش من ولاية تكساس، والتي استلمت منصب مستشار البيت الأبيض خلفاً لآل غونزاليز بعد أن تم التصديق على تعيينه بمنصب المدعي العام، بواسطة عامل المقسم في البيـت الأبيض. وكانت هارييت مثلي، قد عملت في البيت الأبيض في عهد بوش منذ اليوم الأول. كان الجناح الغربي هادئاً في ذلك اليوم. كان باستطاعتي إنجاز الأعمال التي كان علـي القيام بها في ذلك اليـوم، ومشاهدة بعض البرامج الحوارية السياسية المسجلة يوم الأحد ، والتحضير للأسبوع الآتي من دون أي عراقيل.

كانـت هارييت تتصل من مكتبها، وقالت إنها بحاجـة للمجيء إلى مكتبي للتحدث في موضـوع هام. دخلـت وأغلقت الباب خلفها، وقالت: «هناك بعض الأخبار التي قد تنشر غداً عن كارل وتتعلق بقضية التسريب، والتي قد تناقض ما قلتَه أنت منذ نحو سنتين».

قلت وفي ذهني ما ذكره تقرير إيسيكوف من دون أن آخذ الوقت الكافي لأستوعب تماماً ما قالته: «سمعت بهذا». أعادت هارييت التأكيد بأننا لا نستطيع التعليق على موضوع التحقيق بشكل علني. وفي واقع الأمر، كانت تطالبني بالامتناع عن الحديث حول هذا الموضوع، مشيرة بوضوح إلى تعليقاتي السابقة حول الموضوع نفسه.

ثم، وقبل أن تخرج من باب مكتبي، قالت هارييت: «هل تعلم يا سكوت، أشعر دائماً بالاستياء بسبب شعوري بأنني أجعل وظيفتك أكثر صعوبة».

رددت بشكل شبه تلقائي كي أخفف عن شخص أحبه فعلاً، أي إحساس بالذنب: «لا بأس، إنه عملي». بعد مغادرتها مكتبي، تساءلت عما يمكن لهذه المقالة أن تذكره، وكيف يمكن لها أن تناقض ما كنت قد قلته. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، عرفت الحقيقة. لقد كشفت مقالة إيسيكوف أن كارل سبق له أن تحدث مع كوبر بالتحديد عن أن زوجة ويلسون تعمل لدى وكالة المخابرات المركزية.

استناداً إلى إيسيكوف، فقد كتب كوبر إلى رئيسه مايكل دافي مدير مكتب مجلة تايم في واشنطن بواسطة البريد الإلكتروني يعلمه فيها أن كارل حذره «بعدم الذهاب بعيداً في الحديث عن ويلسون». وتابعت رسالة كوبر الإلكترونية ملاحظة أن كارل قال إن رحلة ويلسون لم تتم بتفويض من مدير وكالة المخابرات المركزية جورج تينيت. «قال كارل روف إن زوجة ويلسون التي تعمل على ما يبدو لدى وكالة المخابرات المركزية حول قضايا تتعلق بأسلحة الدمار الشامل هي من فوضت ويلسون القيام بهذه الرحلة». وتابع كوبر: «هناك خلل وشبهة ليس فقط في أصل القصة، بل في التقرير برمته. فقد لمح [روف] بقوة إلى أن هناك الكثير مما يمكن استخدامه لإثبات الاهتمام العراقي بالحصول على اليورانيوم من النيجر».

أوضح كوبر في بداية رسالته الإلكترونية أن هذه المعلومات سرية، وأن روف تحدث إليه فقط «على خلفية من السرية الشديدة المضاعفة لنحو دقيقتين قبل أن يغادر لتمضية إجازته»، استناداً إلى إيسيكوف.

كان تاريخ الرسالة الإلكترونية صباح يوم الجمعة الواقع في الحادي عشر من شهر تموز، يوليو، سنة 2003 - أي قبل ثلاثة أيام من نشر عمود نوفاك الصحفي الذي كشف عن هوية بليم. وأشارت الرسالة إلى القصة التي كانت تعمل عليها مجلة تايم حول ويلسون، ورحلته إلى النيجر، والجهود المبذولة من قبل البيت الأبيض للنيل من مصداقيته والتي كانت تحمل عنوان: «هل هي حرب ضد ويلسون؟»، ونشرت في السابع عشر من تموز، يوليو، سنة 2003.

وفي مقالته المنشورة في مجلة نيوزويك، فجر إيسيكوف آخر قنبلة له في هذا السياق:

> كانت الكلمات التي استعملها روف عن قضية بليم مختارة بعناية: قال روف في مقابلة له مع محطة CNN، السنة الفائتة عندما سئل عما إذا كانت له يد في قضية تسريب اسم بليم: «لم أكن أعرف اسمها. لم أسرب اسمها». لم يعترف روف أبداً علناً وعلى الملأ، بأنه تحدث إلى أي صحفي حول السفير السابق جوزيف ويلسون وزوجته. ولكن محاميه روبرت لاسكين أكد الأسبوع الماضي في مقابلة له مع مجلة نيوزويك أن روف كان المصدر السري الذي أعطى لكوبر الإذن للإدلاء بشهادته وذلك بناء على طلب من محامي كوبر والمدعي فيتزجيرالد.

كتب إيسيكوف: «لا شيء في رسالة كوبر الإلكترونية يشير إلى أن روف استعمل اسم بليم، أو أنه كان يعرف أنها عميلة سرية. ومع ذلك، يجدر التنبه أن روف كان يتحدث إلى كوبر قبل نشر عمود نوفاك الصحفي؛ أي، بعبارة أخرى، قبل نشر هوية بليم. كان فيتزجيرالد يبحث عن دليل يؤكد أن روف تحدث إلى صحفيين آخرين أيضاً».

استناداً إلى ما ذكره إيسيكوف، فقد ذكر «مصدر مقرب من روف أن قراءة متأنية للرسالة الإلكترونية توضح أن المعلومات الواردة فيها ليست جزءاً من جهد منظم للكشف عن هوية بليم، لكنها جزء من جهد بذل لثني مجلة تايم عن نشر أخبار تبين فيما بعد أنها مزيفة».

كان أكثر المصادر احتمالاً هو لاسكين، محامي روف، بما أن أجزاء أخرى من المقالة نسبت إليه. وقد أشير إلى أن المصدر كان متخوفاً من أن يدخل في ملف القضية ما كان

كارل قـد أدلى به بشكل شخصي أمام هيئة المحلفين الكـبرى بصفتِهِ جزءاً من التحقيق الذي ما زال في مراحله الأولى. من الواضح أنني وقعت في شَرَك الخديعة. ففي الأسابيع والأشهر التي تلت ذلك، اكتشفت أن عملية الخداع تخطت روف بمسافة طويلة.

كل هـذا الكشف أمام العيان سوف تكون له قريبـاً آثارٌ مؤلمة ومثيرة للقشعريرة فيما يتعلق بعلاقتي مع الصحفيين. ففي برنامج Late Edition على قناة CNN الذي بُثّ يوم الأحـد الواقـع في السابع عشر من شهر تموز، يوليو، سنـة 2005، لخص مقدم البرنامج جـون كينـغ الـذي كان لزمن طويل كبـير مراسلي محطـة CNN في البيـت الأبيض رأي زملائـه في قاعة اللقـاءات الصحفية: كانوا ميالين إلى التساهـل معي إلى حد ما، لأنهم كانوا يعرفونني ويعرفون سمعتي التي أتمتع بها، ولكن لم يكن بإمكانهم الذهاب بعيداً في ذلك من دون تفسير علني وواضح للأحداث من قبلي.

كان رأي الصحفيـين مؤلماً لكنـه كان أيضاً مفهوماً. لم يكن ذلك يصل إلى حد توجيه الاتهـام لي بقـدر ما كان اتهاماً للإدارة التي كنت أعمـل في سلكها. كان القصد واضحاً: إذا كان بعضـ أهـم كبار المسؤولين في إدارة بوش غير صادقـين مع كبير الناطقين باسم الرئيس، فكيـف يمكن لأحد أن يقتنع أنهم سيكونون صادقين مع الناس؟ فالبيت الأبيض يعاني من أزمة خطرة تتعلق بمصداقيته، ويبدو أن نار هذه الأزمة سوف تلسعني.

كان التأثـير الـذي أحدثه الحوار يوم الأحد، والقصة التـي كانت مجلة نيوزويك على وشك نشرها أشبه بتلقي ضربة لم تكن بالحسبان. لم أتوقع أبداً تلقي مثل هذه الضربة، خصوصـاً بعد التأكيدات الشخصية التي قدمها كارل لي وللرئيس، وعلى الأقل ليس قبل عدة أيام من تحولها إلى العلن. وحتى حينها، كنت قد أقنعت نفسي بعدم تصديق الضجة المثارة في واشنطن وذلك بسبب التأكيدات الشخصية التي تلقيتها حول هذا الموضوع.

كان اللقـاء الصحفـي الذي تلا ما كشفه إيسيكوف إلى العلـن وما أحدثه من إرباك، قاسيـاً ومؤلمـاً في آن. أذكر أنني، وبعد المدة الأولى التي انقضت على حكاية التسريب منذ سنتين تقريباً، استعملت هذه الجملة: «لن أقوم بالتعليق على تحقيق ما يزال قائماً». وهو

ما كان ينهي هذا النوع من الأسئلة بسرعة، ولكن الأمر بالأمس ليس مثله اليوم؛ ذلك أنه وبالنظـر إلى ما أكدته بكثير مـن الثقة في مستهل خريف 2003، فقد أشار جون روبرتس مراسـل محطـة CBS إلى أنني كنت في الواقع قـد قمت بالتعليق بينمـا كان التحقيق ما زال جاريـاً ولمـدة أسبوعين، وتساءل عن سبـب هذا التغيـير. كان روبرتس محقاً، وكنت أعـرف أنه كذلك. وبالرغم من أنني بـرأت ساحة روف من حيث المبدأ، قبل طرح مسألة التحقيق، فإنني لم أبرئ ساحة ليبي بطلب من الرئيس ونائبه إلا بعد أن أبلغنا بأنه سيتم التحقيق في هذه القضية.

قـال ديفيـد غريغوري مراسل محطـة NBC بسخرية إنه من «السخـف» عدم قيامي بالإجابة حول ما إذا كنت ما زلت مصراً على تأكيداتي السابقة من أنه لا يوجد تورط لأي من روف أو ليبي أو أبرامز، متهماً إيايَ بعدم التجاوب، وذلك باستعمالي عبارة «لن أقول شيئـاً» حـول الكشف الذي قامت به مجلة نيوزويك. وتبعـه تيري موران من محطة ABC الـذي لوح بعصـاه في الهواء قائلاً إنني «في وضـع صعب» قبل أن يسألنـي بتهكم: «فجأة أصبحت تكن احتراماً لقدسية التحقيقات الجنائية؟» أخيراً، وبعد مضي وقت طويل على تركـي لمنصبي في البيت الأبيض بدأت أتبين حقيقـة أن الوقوف في وجه حافلة الصحافة المسرعة في تلك الأيام كان مبعثه بالدرجة الأولى الرغبة في حماية الرئيس والبيت الأبيض من إحراج سياسي آخر، وليس احترام قدسية التحقيق.

تناولنا في ذلك اليوم عدة موضوعات أخرى، إلا أن الصحفيين ثابروا على العودة إلى نفـس الموضوع الذي كان في المرتبة الأولى في سلم اهتماماتهم. وكانت نشرات الأخبار في تلك الأمسية سلبية بمقدار ما كانت قارصة.

كنـت أشعـر أن شيئـاً مـا، كان يسقـط مني في طريقـه إلى الجحيـم في كل مرة كان الصحفيـون، كل بدوره، يهاجمونني. لقد كانـت سمعتي تتداعى، جزءاً إثر جزء. وتبعتها في نهاية المطاف، محبتي لتلك الوظيفة. بقيت أستعرض شريط ذكرياتي مثلما كنت أفعل عندمـا كان إخوتـي الأكبر سناً مني يمسكـون بي بشدة أحياناً ونحـن نتعارك عندما كنا

أطفالاً (على الأقل إلى أن بدأت أكبر وأجاريهم في الحجم والقوة). لم يكن بإمكاني فعل أي شيء حيال ذلك سوى أن أكابر وأتظاهر بالشجاعة، وأرفض إعطاءهم الانطباع بأنهم هزموني. ولم يكن مقدراً لهذا اللقاء الصحفي أن ينتهي بالسرعة المرجوة.

إن السخرية التي تلقيتها في ذلك اليوم، وكذلك في الأيام التي تلته، كان لها ما يعللها بالرغم من كونها محبطة ومذلة في الوقت عينه، بالنظر إلى ما قلته سابقاً. وبما أن يديَّ كانتا مكبلتين، فكل ما كان باستطاعتي فعله حينها هو اللجوء إلى موقع الدفاع وإسناد ظهري إلى الحائط.

كان اللقاء الذي جرى مع نوابي بعد اللقاء الصحفي كئيباً. كانوا يعرفون أنني حُشِرتُ في زاوية مستحيلة. قال أحد النواب: «هذه هي طبيعة الأشياء»، وقال ترينت دافي وهو مصدر لا ينضب من النصائح الصريحة: «لا يوجد ما يمكنك فعله حيال ذلك، فأنت في موقع صعب». أما الآخران، دانا بيرينو، وفريد جونز الناطق الرسمي باسم مجلس الأمن القومي، فقد عبرا عن تعاطفهما الصادق لي شخصياً.

بعد أن عدت إلى مكتبي في وقت لاحق عصر ذلك اليوم، تلقيت اتصالاً هاتفياً من كارل روف. قال: «أريد فقط أن أعبر لك عن أسفي لما تمر فيه». ومع الأخذ بعين الاعتبار التحقيق المستمر فقد عرفت أن هذا يتضمن اعتذاراً كاملاً بأقصى ما يمكنه من التعبير. من الواضح بالنسبة لي أن كارل كان يهمه حماية نفسه من إجراءات قانونية محتملة، ومنع العديد من منتقديه من إسقاطه.

كانت تغطية الشبكات الإخبارية بواسطة المراسلين في البيت الأبيض في تلك الليلة غير متسامحة البتة، وهو أمر مفهوم - كانت قاسية على مصداقية البيت الأبيض وعلى مصداقيتي أنا شخصياً، وهو ما أساء إلى الرئيس نفسه. كل واحدة من هذه الشبكات، أعادت بث مقاطع من تصريحاتي سنة 2003، وبينت كم تبدو متناقضة مع ما قلته لاحقاً. لخص جون روبرتس المسألة كلها كما يلي: «كان يوماً بائساً في البيت الأبيض الذي لم يتمكن من الدفاع عن تصريحاته المثبتة على شرائط تسجيل، ولم يستطع أن يشرح لماذا كان ما يردده دائماً بكل ثقة منذ واحد وعشرين شهراً لا يعدو أن يكون كذبة».

ختم بيل بلانتي، زميل روبرتس، تقريره صباح اليوم الثاني بالقول: «إن هناك أشخاصاً آخرين يبدو أنهم متورطون في هذا الجدل المتعلق بنشر اسم أحد ضباط وكالة المخابرات المركزية، ولكن إذا كان روف غير مستهدف في هذا التحقيق، فإن البيت الأبيض في أسوأ الأحوال، ما يزال يبدو غبياً.

في صباح اليوم نفسه، أدار كارل اجتماع أركان البيت الأبيض نظراً لغياب آندي. وكالعادة، كنت أنا ثاني المتحدثين وذلك بعد استعراض سريع لجدول مواعيد الرئيس لذلك اليوم. قبل أن يحيل كارل الدور لي للكلام، قال كلاماً قصد أن يسمعه كل الزملاء من كبار الموظفين أنه «آسف فعلاً» لما مررت به.

توقف كارل للحظة وهو ينظر إليَّ بتمعن كما لو أنه كان ينتظر مني أن أقول: «لا تقلق بشأن هذا الموضوع، فالأمر ليس بهذه الأهمية». إلا أن كل ما كان باستطاعتي القيام به آنذاك كان ليّ شفتيّ من دون أن يظهر على وجهي أي تعبير، في الوقت الذي أومأت برأسي بشكل خفيف، معبراً له عن رد فعلي على إحساسه بالذنب بالقول بما يشبه الهمس: «شكراً، أقدر لك هذا». في اليوم اللاحق وجدت اعتذاراً مكتوباً بخط اليد بانتظاري على كرسي مكتبي.

وفي وقت لاحق من ذلك الأسبوع، أصبح من المعروف (وقد أكد ذلك محامي كارل الشخصي، روبرت لاسكين بشكل سري) أن كارل كان المصدر الثاني لعمود نوفاك الصحفي الأصلي الذي كشف عن هوية بليم. حقق كل من المراسل في البيت الأبيض ديك ستيفينسون، وزميله مراسل نيويورك تايمز، ديفيد جونستون سبقاً صحفياً وذلك لأنهما كانا أول من أعلن عن هذا النبأ صباح يوم الجمعة. وكان ذلك جزءاً من خطة كارل ولاسكين.

أصر محامي كارل أمام الصحفيين على القول إنه لم يسرب هوية بليم أو يكشف عنها. استناداً إلى لاسكين، فإن نوفاك قال إنه سمع أن زوجة ويلسون كانت تعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية، وأن كارل أجاب: «سمعت بذلك أيضاً». أما المقالة المنشورة في مجلة تايم فقد ذكرت أن مصدراً مجهولاً (لاسكين) «ناقش المسألة تحت تأثير الاعتقاد أن السيد روف كان صادقاً في قوله إنه لم يكشف عن هوية السيدة ويلسون».

ذكرت الحكاية التي روتها صحيفة نيويورك تايمز أن نوفاك أعطى وصفاً «للمسؤولَيْن الرفيعَيْن في الإدارة» في عمود لاحق نشر في الأول من شهر تشرين الأول، أكتوبر، سنة 2003. استناداً إلى نوفاك، فإن مصدره الرئيس الذي لم يكشف عنه بعد، «لم يكن محارباً حزبياً"؛ أما المسؤول الثاني (روف) فقد أكد قائلاً: «نعم، أنت ملم بهذا الموضوع».

وفي مؤتمر صحفي عقد يوم الاثنين الثاني، بحضور رئيس الوزراء الهندي الزائر، سينغ، سأل تيري هانت مراسل وكالة الأسوشيتد برس الرئيس عن كارل وقضية التسريب. قال هانت: « سيدي الرئيس، سبق وقلت إنك لا تريد أن تتحدث عن موضوع ما يزال قيد التحقيق؛ ولذا فأنا أود أن أسألك، وبغض النظر عن احتمال أن جريمة قد ارتكبت، هل ما يزال في نيتك طرد أي موظف يثبت أنه متورط في قضية التسريب المتعلقة بوكالة المخابرات المركزية؟ وهل أنت منزعج بسبب أن كارل روف أخبر أحد الصحفيين أن زوجة جو ويلسون كانت تعمل في قسم أسلحة الدمار الشامل بوكالة المخابرات المركزية؟»

قال الرئيس: «إن تحقيقاً في منتهى الجدية يجري هنا». ثم تابع قائلاً:

كما أن الموضوع تتناوله الصحف. وأعتقد أنه من الأفضل للجميع الانتظار حتى يكتمل التحقيق قبل أن تقفز إلى استنتاجات. وسأقوم أنا بذلك أيضاً. لا أعرف كل الحقائق. أريد معرفة كل الحقائق. أفضل مكان يمكن أن تتم فيه معرفة الحقائق هو من قبل شخص يقضي وقته في التحقيق بشأن ذلك. أريد لهذا الأمر أن ينتهي في أقرب وقت بحيث نصل جميعاً إلى الحقيقة، وإذا ارتكب أحدهم جريمة ما، فلن يستمروا في العمل معي في هذه الإدارة.

كان السطر الأخير جزءاً من خطة الرئيس «لتوضيح» أسباب الطرد من العمل. اعتقد بارتليت أن على الرئيس أن يقول شيئاً حول ذلك السؤال الذي كنا نعرف جميعاً أنه سيطرح نفسه، وأن من الأفضل أن يبادر ويعيد تحديد ضوابط الطرد من العمل لشخص يمكن أن يكون متورطاً في التسريب، وتحديداً كارل. ونظراً لأنني كنت أشعر بأنني مصاب من الناحية النفسية، فقد وافقت دان من دون ضجة على مخططه، ولم أبدِ أي اعتراض عليه بالرغم من أنه لم يكن متناسباً مع ما ألزم الرئيس نفسه به في السابق.

صـورت وسائل الإعـلام الأمر على أنه تغـير في الموقف، وهو ما كنـا نتوقعه من وسائل الإعـلام، ولكن كان مـن الأفضل المبـادرة إلى القيام بذلك في أقرب وقـت، حيث أن ذلك كان أفضـل من تأجيله إلى وقـت لاحق في المستقبل. أحسست بخيبة الأمل وأنا أرى الرئيس يتراجع، ويسـير عكس الاتجاه، لكنني كنت أتفهم دوافعه. كان الوضع المتمحور برمته حول كارل، الذي كان ما يزال يصر على أنه لم يسرب بمعرفةٍ أو بقصدٍ منه هوية بليم السرية، ما يزال ضبابياً على الأقل بالنسبة للرئيس، ولكن كارل كان عضواً مهماً في فريق الرئيس.

في أحـد أيام تلك المرحلة، ولم أعد أتذكر كيـف حدث ذلك، أذكر أن آندي قال لي في حديث خاص بيننا كيف أن عدداً من موظفي البيت الأبيض شعروا بالاستياء لأنني تُرِكتُ وحيـداً أتعرض للجلد من قبـل وسائل الإعلام مـن دون أن أكون قـادراً على الدفاع عن نفسي، بينما كان البعض الآخر منهم يرى أنه كان على البيت الأبيض أن يدافع عن كارل بقوة أكبر. أظن أن آندي شعر بالاستياء لأنني حُشِرتُ في الزاوية، ويعود ذلك بشكل جزئي إلى اتصالـه بي في أول يوم سبت من شهر تشرين الأول، أكتوبر، سنة 2003. لكن إماطة اللثام عن روف لم تكن المرة الأخيرة التي تم فيها النيل من كلماتي ومن مصداقيتي.

بعد ثلاثة أشهر، وجّهَ باتريك فيتزجيرالد، المستشار الخاص الاتهام إلى رئيس أركان نائـب الرئيس، سكوتر ليبي الـذي تم توجيهي لتبرئته هو بالتحديد، بعرقلة سير العدالة، كما وجهـت إليه تهمتان تتعلقان بالإدلاء بمعلومات كاذبـة أمام عملاء مكتب التحقيقات الفيدراليـة، وتهمتان أخريان بالحنـث باليمين أمام هيئة المحلفـين الكبرى. وكان سيتم الكشـف في ذلـك الوقت أنه تحدث عـن بليم ليس إلى ميللر وحسب، بـل إلى كوبر أيضاً، ولكنـه لم يتحدث إلى نوفاك – وهذا مناقض للتأكيدات العلنية التي صرحت بها علناً من أنـه أكـد لي العكس. كما كُشِف أنـه تقاسم هذه المعلومات السرية مـع سلفي آري فليشر، في محاولـة منه استخدامـه في سبيل تسريـب المعلومات إلى الصحفيـين. (أدلى فليشر بشهادته فيما بعد مؤكداً بأنه لم يكن يعرف أن المعلومات كانت سرية).

في غضون الأسابيع والأشهر اللاحقة انبرت اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري للدفاع عـن روف بقوة، وكان رئيسها كين ميهلمان،الذي تم اختيـاره بعناية، يشغل منصب كبير

مساعـدي روف، وكان أيضاً زميـلاً سابقاً لي. وكان المنظرون المحافظون وقادة الفكر قد انضموا إلى حملة الدفاع عنه، وتولى تنظيم هذه الحملة جزئياً محامي كارل، وميهلمان، ومـارك كوراللو، الناطق الرسمي المخضرم الذي تعاقد معه كارل بشكل شخصي لمعالجة مسألة التحقيق.

وفي النهايـة، وبعد المثول مطولاً ولمـرات عديدة أمام هيئة المحلفين الكبرى، نجا كارل مـن توجيـه أي اتهامات له. أشارت التقارير إلى أنه لم يفصح عن مناقشته مع مات كوبر حـول بليـم في البدايـة، أمام هيئـة المحلفين الكبرى. ثـم، وبعد أن علـم محاميه روبرت لاسكـين عـن هذا الموضوع في حديث عابر مع صحفي آخر مـن مجلة تايم، أشيع أن روف وضع نفسه تحت رحمة المحلفين.

دافع كين ميهلمان عن شرفي واستقامتي بقوة عندما استضيف في البرامج الحوارية، وقـد فعل دان بارتليت الشيء نفسه على شاشة محطـة CNN. لكن أفضل من دافع عني مـن ذوي المصداقيـة كانوا مراسلي البيت الأبيض المعروفين جيـداً، والذين سبق لهم أن قرعـوني بشـدة بعد أسبوع على الكشف عن تورط روف؛ وبعـد ذلك، في الأسبوع الذي تم توجيـه الاتهام إلى ليبي. وكانـوا يتمتعون بالمصداقية نظراً لأنهـم لم يكونوا يعتمون على الحقائـق أو يداورون من أجل غايات حزبية، بـل كانوا بكل بساطة، يعبرون عما يعتقدون أنه الحقيقة.

على سبيل المثال، عندما أطل ديفيد غريغوري، كبير مراسلي محطة NBC في البيت الأبيض، وأشد خصومي قسوة وبعداً عن التسامح في قاعة اللقاءات الصحفية، مع كريس ماثيـوز في برنامج Hardball في الحادي والثلاثين من شهر تشرين الأول، أكتوبر، سنة 2005، سئـل عما أنا فيـه. وكان ذلك يوم الاثنين الذي تلا الاتهـام الوحيد الذي وجهه فيتزجيرالد في موضوع التحقيق، وأثناء استمرار فيتزجيرالد بالتحقيق في دور روف في الوقـت الذي كنت أكـرر فيه موقفي الدفاعي المتمثل بعبارة «لا تعليق لدي» حول القضية برمتها من على المنصة:

سأل ماثيوز غريغوري: «لقد تحول الجو إلى حار نوعاً ما، في قاعة اللقاءات الصحفية في هذه الأيام، أليس كذلك؟»

أجاب غريغوري: «بالتأكيد، يمكن أن يكون حاراً، وقد أصبح بالفعل حاراً خصوصاً عندما تسمع تصريحات سكوت ماكليلان حول عدم تورط هؤلاء الأفراد بأي شكل من الأشكال أو الطرق أو الصيغ». ثم تابع يقول:

أعني أن سكوت في موقف صعب، ونحن نفهم ذلك، لأنه طلب إليه، وإلى كل موظفي البيت الأبيض، من قبل هارييت ميرز المستشارة في البيت الأبيض، عدم الخوض في هذا الموضوع بتاتاً.

ولكنه في الواقع أدلى بتصريح علني أفاد فيه أنه تلقى تأكيدات بشكل مباشر من كل من روف وليبي تفيد بأنهما غير متورطين البتة في أي من هذا، وهذا لم يكن صحيحاً. لأنه حتى لو لم يرتقِ ذلك إلى مستوى الجريمة، ونحن نعلم أن اتهاماً قد تم توجيهه إلى سكوتر ليبي بارتكاب جريمة عرقلة سير العدالة، والحنث باليمين، فإن كارل روف لم توجه إليه تهمة ارتكاب أي جريمة؛ لقد تورطا في واقع الأمر بأحاديث حول ضابط سري تعمل في سلك وكالة المخابرات المركزية. ليس عليك أن تصدقني، ولكن هذا هو ما قاله المدعي الخاص فيتزجيرالد عن سرية...[بليم].

هذا هو الوضع الذي هو فيه الآن. إنها مسألة تتعلق بالمصداقية؛ ولقد قال لنا سكوت، اسمعوا: أنتم معشر الصحافيين تعرفونني، فأنا شخص ذو مصداقية. وهذا صحيح. سمعته فوق الشبهات. لكن المسألة تتعلق بالشعب الأمريكي كما تعلم. فلو قلت شيئاً تبين فيما بعد أنه غير صحيح، فإن المسالة تصبح جدية.

في اليوم الذي سبقه، وضمن برنامج Reliable Sources على محطة CNN، الذي يقدمه الصحفي الإعلامي هوارد كورتز، بالتعاون مع صحيفة واشنطن بوست، انبرى جون روبرتس مراسل محطة CBS للدفاع عني. سأله كورتز: «هل تعتقد يا جون أن

سكـوت ماكليلان مديـن باعتذار للصحافة والجمهـور بسبب - ما تبين لاحقـاً أنه إنكار مضلل في قضية تسريب معلومات عن وكالة المخابرات المركزية؟»

قـال روبرتس: «حسنٌ، أنت تعلم يـا هوارد أنني قد أكون ضمن أقلية في هذا المضمار، لكنني أظن أنه يمر في وقت صعب بسبب هذا الموضوع»، وتابع قائلاً:

أنـت تعلم أنه لا يخرج إلى العلن ويتحـدث عن هذا الموضوع من تلقاء نفسه... إنـه يخرج إلى هناك ويحاول بأمانـة أن يعرض أي شيء يطلب إليه البيت الأبيض أن يقوله. من الواضح أنه زُوّدَ في شهر تشرين الأول، أكتوبر، سنة 2003 بمعلومات سيئة جداً. هل أخطأ في التصريح عن هذه المعلومات؟ لا أظن ذلك. أعتقد أن من زوده بهـذه المعلومات هو المخطئ - المخطئون هم الذين زودوه بما يتضح الآن أنها كانت معلومات خاطئة.

لـذا أعتقد أن سكـوت - كما تعلم، فأنا أعرفه منذ سنـين عديدة. وكانت لي معه علاقة عمل جيدة. أعتقد أنه صادق فيما يقوله. وأعتقد أنه يدافع عما يؤمن بـه. كما أنني أعتقد أنه طلب إليه حمل ميـاه غيره، وتبين فيما بعد أن هذه المياه كانت آسنة.

في اليوم نفسه، وفي ظهور له وهو يجلس إلى الطاولة المستديرة في برنامج This Week With George Stephanopoulos، تصدى تيري موران أيضاً، وهو كبير مراسلي محطة ABC في البيـت الأبيض، للدفاع عـن سمعتي بصراحته المعهودة. سـأل ستيفانوبولوس: «مـا الذي سيفعله البيت الأبيض الآن بسكرتيره الصحفي سكوت ماكليلان، وبحقيقة أنه في مناسبـة، إثـر مناسبة، إثر مناسبة، ليس لديه ما يقوله سوى الإنكار الكامل لأي تورط لكارل، أو أي تورط لليبي؟»

أجـاب مـوران بالقـول: لقد حشـر السكرتير الصحفـي في وضع صعـب بشكل لا يصدق، لقد كنت في القاعة. كان يطلعنا على معلومات كاذبة مرة إثر أخرى من دون أن يعرف ذلك».

سألت كوكي روبرتس، وهي إحدى المشاركات في النقاش: «هل تظن أنه كان يعرف؟»

أجـاب موران: «كلا»، وأضـاف: «لقد أشار إلى أنه يريد أن يروي لنا القصة»؛ وكان يشير بذلك إلى تعليقاتي الأمينة حين كنت على المنصة، والتي قلت فيها إن أحب شيء إليّ هـو أن يكـون باستطاعتي التحدث حـول أحداث أحاطت بتبرئتـي العلنية لكل من روف وليبي.

قـال ستيفانوبولوس: «عليّ إذاً أن أطرح السـؤال الآتي، حسنٌ، قلتَ إنه لم يكن يعرف شيئاً عن الموضوع، وإذاً، فهل يعني هذا أن كارل روف كان يكذب عليه؟»

قال موران: نعم، نعم».

سأل ستيفانوبولوس: «ماذا سيفعل الرئيس حيال ذلك؟».

قـال موران: «يجـب عليه القيام بشيء مـا»، قبل أن يستدرك متوقعـاً – وهو محق في هذا – التفعيل المستمر للجدار الأصم الذي يمثل إستراتيجية التواصل الفظيعة في البيت الأبيض: «ينبئني حدسـي أنهم سينَحّون الأمر كله الآن جانبـاً. سوف يقولون إنها قضية جنائية يتم التحقيق فيها بصورة مستمرة، ولذا فنحن سننَحّي بها جانباً».

أضاف روبرتس، في إشارة منه إلى بيل كلينتون: «كانت عندنا رئاسة مؤخراً كذب فيها الرئيس على سكرتيره الصحفي، وعلى الجميع في البيت الأبيض».

ألح ستيفانوبولوس بالسؤال: «ولكن ماذا سيفعل الرئيس؟»

تدخـل جورج ويـل قائلاً: «في هذه المرحلـة، سيغير الموضوع، إنهـا عادة قديمة في العمـل السياسـي، وتتلخص في أنـه إذا لم تعجبك الأخبـار، أخرج واصنـع أخبارك بنفسـك»؛ وكمـا توقع أن هذا ما سيقـوم به الرئيس بالضبط، فقـد أعلن هذا الأخير عـن تسمية مرشح جديد لعضوية المحكمة العليا بعـد إعلان هارييت ميرز عن سحب ترشيحها قبل عدة أيام على ذلك.

رشـح الرئيس سـام أليتو لعضوية المحكمة في صباح اليوم الثـاني مباشرة. لكن هذا لم يؤثـر البتـة في رفـع إحساسي بالمهانة المؤلمـة، أو يبعد الضربات المستمـرة التي كيلت لمصداقية إدارة بوش.

وفي مقابلة له مع ميهلمان، رئيس الحزب الجمهوري، قال جون كينغ من محطة CNN:

أنت تصف سكـوت ماكليلان بالرجل المستقيم. أوافقك الرأي. بالرغم من أن قـولي هذا قد يشكل خطراً عليّ. من المفترض أن أكون موضوعياً هنا. إنه شخص مستقيـم. إنـه يقـوم بأصعـب وظيفـة في واشنطن. لقـد كنت في قاعـة اللقاءات الصحفيـة نفسهـا عندمـا طرحت أسئلـة مشابهة في عهـد هـذه الإدارة، وأسئلة مشابهـة في عهد إدارة كلينتون. ولو راقبت ما جـرى، سواء أكنت موضوعياً أم لا، فقد عانى من بعض الضرر الذي وقع في تلك القاعة. إن مصداقيته أضحت محل تساؤل بالنسبة لأولئك الذين يقومون بتغطية نشاطات الرئيس يومياً بسبب ذلك.

بعـد ذلك، طرح كينغ على ميهلمان السؤال الآتي: «وإذاً، فأنت تقول بالأساس إن هذا ثمـن مقبول: سكوت ماكليلان، الشخص الـذي كان موالياً لهذا الرئيس منذ أن كان هذا الأخـير حاكماً لولاية تكساس، هل تعد مصداقية هذا الرجل ثمنـاً مقبولاً مقابل الدفاع عن كارل روف؟»

رد ميهلمـان قائلاً: «ما أقوله هو أن سكوت ماكليلان، وكارل روف، وجورج دبليو بوش مهتمون بالعملية نفسها أكثر من اهتمامهم بمعايير المصداقية الشخصية»؛ وتابع قائلاً:

يريدون الوصول إلى وضع حد لهذه القضية. يريدون أن يتأكدوا من أن العدالة ستأخذ مجراها. ولكي تأخذ العدالة مجراها لا يعني أن يقوم البيت الأبيض والرئيس بإصـدار تصريحات من على المنصة حـول تحقيق عن البيت الأبيض. ولذلك فأنا أعتقـد، وبكل صراحة، أن ما يقوم به مدعاة للإعجاب؛ كما أظن أن حقيقة رغبته في وضع نفسه ثانياً، والعملية أولاً هي بالضبط ما نتحدث عنه عندما نقول إن المرء يأتي إلى واشنطن بهدف الخدمة، وليس لكي ينتابه القلق بشأن نفسه.

obeikandl.com

كان تمسكي بالعبارات الصريحة التي تفوهت بها أمام السائلين في قاعة اللقاءات الصحفية شكلاً آخر من أشكال خداع الذات وذلك لاعتقادي بأن سمعتي ومصداقيتي أمام الصحافة يمكن أن لا تتأثرا في غياب وجود تفسير شخصي ومنطقي؛ وهو التفسير الذي تم منعي من البوح به لأنني التزمت بالتوجيهات التي قضت بأن لا أقوم بالتعليق على ما حدث.

بالعودة إلى الماضي، يمكن القول إن العلاقة القوية المبنية على الثقة المتبادلة التي نشأت بيني وبين الجسم الصحفي المتمركز في البيت الأبيض لم تستطع أن تفعل شيئاً سوى السماح للناطق الرسمي المطعون في مصداقيته في أن يجتاز - وبالكاد - الأشهر القليلة الآتية.

كانت هناك لحظة أثناء حكاية التسريب أجدني متردداً بالخوض فيها. ولكن بما أنني ملتزم بقول الحقيقة كما أعرفها، وطالما أن تلك اللحظة لها بعض الصلة بما نحن بصدده إذا أخذنا بعين الاعتبار توقيتها وطبيعتها، فإنني أشعر أن الكشف الكامل عنها هو الخيار الوحيد المتاح أمامي.

اللحظة التي أتحدث عنها حدثت سنة 2005 عندما كان الاهتمام منصباً على كل من روف وليبي، وهذه اللحظة محفورة في ذاكرتي. لا أذكر اليوم الذي حصلت فيه بالضبط، ولكنها أعقبت اجتماعاً لأركان البيت الأبيض في مكتب آندي كارد. كان يتقاسم جناحاً يتكون من مكتبين، بالإضافة إلى ثلاثة من المساعدين الذين كانوا يحتلون المنطقة المشتركة التي تصل بين المكتبين وكانت تستعمل أيضاً كردهة انتظار ومدخل إليهما. أما المكتب الثاني فكان يشغله نائب رئيس الأركان لشؤون السياسة، وكان حينها كارل روف نفسه.

ضم الاجتماع الذي عقد في مكتب آندي عدداً من المديرين، أو مساعدي الرئيس، وبعض النواب، أو نواب مساعدي الرئيس. أعتقد أن من بين الحاضرين في ذلك الاجتماع كان بعض المساعدين الخاصين.

بعد الاجتماع، كان البعض منا ما يزال يتجه نحو الباب باتجاه المنطقة المشتركة للجناح، ونختلط مع بعضنا بعضاً أمام المدخل قرب باب مكتب كارل، وأمام طاولة

مساعـده القديـر تايلور هيوز. كان سكوتر ليبي يمشي باتجـاه المدخل وهو يتهيأ للمغادرة عندما استدار كارل كي يلفت انتباهه.

سأل كارل: «هل لديك وقت لتقوم بزيارة؟».

أجاب ليبي: «نعم».

كانا على بعد عدة أمتار مني قبل أن يختفيا وراء الباب المغلق في مكتب كارل.

لم تكـن لدي فكرة عما دار بينهما، ولكن ما كان يجمـع بينهما مثار شبهة، ذلك أنني لم ألحظ مطلقاً قبل ذلك أنهما أمضيا لوحدهما وقتاً معاً؛ أو الاختفاء وراء أبواب مغلقة، والقيـام بزيـارات خاصة. كان بـاب كارل مفتوحاً دائماً إلا إذا كانـت هناك حاجة ملحة تستدعـي الخصوصيـة. وكان مألوفـاً بالنسبـة لي أن أطل من البـاب، وأقطع عليه عمله للحظة. كان كارل يبـدو مشغولاً بشكل دائم وهو يعمل على قضايا، وأحداث، ومخططات لا تنتهـي. ولـو أردت الحصول على معلومات منـه بغية التحضير للقـاء الصحفي، وهي معلومات كان علي الحصول عليها تحت ضغط عامل الوقت، كان عليّ إتباع أسهل الطرق لتحقيق ذلك، ألا وهو الذهاب إليه مباشرة.

لماذا بقيت هذه اللحظة عالقة في ذهني بهذا الوضوح؟

لأن هذين هما الزميلان، وأحدهما من أصل تكساسي مثلي، اللذان وضعت مصداقيتي على المحك من أجل الدفاع عنهما. وهما الشخصان اللذان أكدا لي بصورة قاطعة أنهما غـير متورطيْن في تسريب هوية فاليري بليم. كمـا أن واحداً منهما على الأقل، وهو روف، قـام بتضليلي بسبب أنه لم يشاطرني المعلومات المطلوبـة؛ وكانت الإشاعات التي تلامس الحقيقة تشير إلى أن الآخر، ليبي، فعل على الأقل، الشيء نفسه.

عقـد هذا الاجتماع السـري بين الرجلين في لحظة كانت الضربات تنهال عليّ من قبل الصحافة لأنني دافعت بشكل علني عن الاثنين عن طريق ادعائي أنهما غير متورطين في تسريب هوية بليم في الوقت الذي كشفت معلومات مؤخراً عن أن العكس قد حصل. لم أرَ هذيـن الشخصين، على امتداد السنوات الأربـع التي عملنا فيها سوية في البيت الأبيض، يجتمعـان لوحدهما أبداً قبل ذلك. أما الآن، فها هما يجتمعان بشكل خاص وراء الأبواب

المغلقـة في وقت متأخر من اللعبـة عندما كانا ما يزالان يخضعان للتحقيق، وتحت المجهر الشعبي المتزايد.

لم أعرف شيئاً عما تمت مناقشته، ولكن ما الذي يمكن لأي شخص مطلع أن يستنتج بشـكل عقـلاني ومنطقي طبيعة الموضوع الـذي كانا يناقشانه؟ وكما هـي الحال بالنسبة إلى الحقيقـة الكاملة التي ننشدها حول تورط بعض الأشخاص في هذه القضية، فإننا لن نعرف أبداً بشكل مؤكد.

قـادني الإحساس بالحريق الذي يتعاظم من حـولي إلى التفكير لبرهة، في الاستقالة . إلا أننـي لم أشعـر أبداً بـأن الرئيس نفسه قد ضللني عن سابـق تصور وتصميم، أو أنه حجـب عني معلومات ذات صلـة. وبالرغم من بعض الشكوك التي كانت تحوم في الداخل حـول النهـج الذي نسير عليه، فقـد بقيت مصمماً على احترام التزامـي أمامه، من دون التبصر بمدى الصعوبات التي تحوط هذا الالتزام.

أتخيـل أن بعضهـم كان يتصـور أن استقالتي في تلك اللحظة ستساعـد الرئيس. ربما كانت ستساعده. إلا أن الإذعان اللا شعوري الذي أبداه بوش، والذي كان في بعض الأحيان عامـلاً مساعـداً في تمريـر سياسة الخداع هو مـا وضعنا في هذا الموقـف المربك. وسوف يستمـر في التسبـب بضربات كارثية لرئاستـه، ولرأي الناس فيه. فبـدلاً من التزام خيار الانفتـاح والصراحة لمنـع الفضيحة من أن تترسخ، فقد سمـح للشبهة أن تزداد، وللحرب الحزبية أن تزدهر.

بعـد أكثر من ثلاثين سنة، كانت ثقافة الفضيحـة الدائمة التي وسمت إرث نيكسون تلاحـق رئيساً آخر أخفق في تعلم دروس ووترغيت. دفعتُ بالتأكيد الثمن نتيجة لذلك. ولكـن إدارة بوش دفعـت ثمناً أكبر من ذلـك بكثير – وكذلك البلاد التـي تعهدت هذه الإدارة بخدمتها.